أصول الزراعة في بلاد المغرب القديم

د. محمد الهادي حارش*

ملخص

رغم أن النصوص تؤكد أن مسينيسا هو من أدخل الزراعة إلى نوميديا التي لم تكن تعرف الفلاحة قبله، لكن المعطيات الأثرية واللغوية، تبين غير ذلك، فهذه آلات الحرث والحصاد التي وجدت في مناطق متفرقة من بلاد المغرب، بالإضافة إلى المطاحن التي تعود هي الأخرى إلى عصور ما قبل التاريخ، تمكننا الحكم بقدم الزراعة في نوميديا وبلاد المغرب، وأنها تعود إلى ما قبل مسينيسا بكثير وأن انتظامها وتطورها بدأ تدريجيا منذ أواخر العصر الحجري الحديث، ولا يد فيها للفنقيين ولا قرطاجة، هذا لا ينفي مساهمة قرطاجة في تطوير وتنمية الفلاحة في بلاد المغرب، ولكن في نفس الوقت ليس ضروريا أن نستنجد دائما بالتأثيرات الخارجية، كلما دعت الضرورة لدراسة تقنيات محلية، كما أننا لا نلغي دور مسينيسا في مجال تطوير الفلاحة إذا قلنا أنها تعود إلى عهود سابقة له.

Les origines de l’agriculture au Maghreb antique

Malgré que les textes confirment l’introduction de l’agriculture en Numidie par Massinissa, mais certaines gravures et outils néolithiques, semblent témoigner de leurs très anciennes utilisations en Numidie. Ce qui nous permets de dire que l’agriculture est antérieure à ce roi, et que pour la culture des champs les Numides ne doivent ni leurs semences ni leurs instruments essentiels à une quelconque influence ni phénicienne ni punique.

Cela ne veut pas dire nier la contribution des Carthaginois, ni le rôle de Massinissa dans l’évolution et le progrès du monde rural africain, mais au même temps il n’est pas nécessaire de recourir à des influences étrangères à chaque fois qu’on veut étudier des techniques locales.

* **ألقى البحث نيابه عنه د.محمد بن عميره**-قسم التاريخ-كليه العلوم الانسانيه والاجتماعيه- الجزائر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لا يمكن الحديث عن الزراعة في بلاد المغرب القديم دون ذكر فقرة لبوليبيوس (POLYBE) مفادها أن الملك مسينيسا هو مدخل الزراعة إلى نوميديا :" إليك أعظم وأروع ما عمله ــ أي مسينيسا ــ، لقد كانت نوميديا قبله عديمة الفائدة، وتعتبر عاجزة بطبيعتها عن إنتاج المزروعات مثل أي منطقة أخرى، فكان هو وحده أول من برهن على أنها ــ أي نوميديا ــ تستطيع إنتاج المزروعات مثل أي منطقة زراعية أخرى، لأنه استثمر مساحات شاسعة[١] " وهو ما ذهب إليه أيضا الجغرافي سترابون الذي ذهب أبعد من ذلك بجعل مسينيسا هو من حضر النوميديين وجعلهم اجتماعيين : " إن مسينيسا هو من جعل من النوميديين البدو الرعاة أناسا اجتماعيين يسكنون المدن" [٢].

وهكذا نلاحظ شبه اجتماع عند المؤرخين القدامى حول دور مسينيسا في إعمار نوميديا، إذ يشير أيضا فاليريوس ماكسيموس إلى إحياء مسينيسا براري واسعة: " إن مسينيسا جعل من البراري الواسعة، أراضي خصبة ، بفضل العناية الخاصة التي وجهها للزراعة [٣] "، وهو ما يؤكده أبيانوس:" إن العناية الإلهية هي التي جعلت مسينيسا يحي رقعة واسعة من المعمور كان النوميديون فيها يقتاتون بالحشائش فقط ، لأنهم ، لم يكونوا يعرفون الزراعة "[٤] .

إذا كنا نعترف بدور الملك مسينيسا الكبير في نشر الحياة الزراعية في مملكته الواسعة [٥] ، فإننا في نفس الوقت لا نشك في مبالغة تلك النصوص في مدح الملك، وقد بين كومس(G. Camps)، مدى هذه المبالغة وشدة إعجاب بوليبيوس في نظره بهذا الأقليد الذي كانت تربطه به صداقة [٦].

ونستطيع القول استنادا إلى المعطيات الإيتيمولجية و الأثرية أن ظهور الزراعة في بلاد المغرب القديم ، تعود إلى ما قبل مسينيسا بكثير [٧]، و قد ذهب ستيفان غزال إلى أن المغاربة عرفوا زراعة الحبوب قبل قدوم الملاحين الفنيقيين بوقت غير قصير[٨]، وهو رأي ديسانج (DESANGES) الذي يقول:" الزراعة في الواقع،

---

[1] Polybe , XXXVI ,16, 78
[2] STRABON,XVII,3,15
[3] Valere, MAXIME ,VIII,13
[4] APPIEN , PUNIICA ,XVI,106
[5] CF S. Gsell, H.A.A.N., T.5, p.187; G. Camps, Aux Origines de la berberie . Massinissa ou les débuts de l'histoire ,imp. Officiel (ALGER 1961
[6] CF. G. CAMPS, «les numides et la civilisation punique»ant. Africanes, T. 14(6 (1947),P. 44.
[٧] في إطار حديثه عن ليبيا يقسم هيرودت(القرن الخامس ق م)هذه البلاد إلى قسمين :قسم شرق نهر ترتيون،سكانه بدو رعاة و القسم الآخر غرب هذا النهر،سكانه زراع مستقرون(هيرودتIV، ١٩١).
[8] S Gsell , H A.A.N. , T.1 , pp. 235-256; T. 4 , P. 9; T. 5, P 186.
J. DESANGES. «Rome et la conquête du monde méditerranéen », dans Nicolet

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ظهرت قديما جدا عند الليبيين الذين كانوا يمتلكون طرازا من محراث محلي عند قدوم الملاحين الفينقيين[٩] .

وقد أكد هنري باسي (H. Basset) الأصول المحلية لهذا المحراث ، بل و تساءل إن لم يتبن القرطاجيون محراث الأهالي[١٠]، و قد رأى تيسو أن المحراث المستخدم حاليا عند بعض القبائل ، هو نفسه الذي استخدمه الأفارقة في عهد ماقون ، و هذا اعتمادا على ما ذكره بلينوس.

أما قبريال كومس (G. Camps)، فيرى أن المغاربة القدامى عرفوا الزراعة على أقل تقدير في أواخر عصور ما قبل التاريخ، إذ يرى في بعض الأدوات القفصية الدليل على بداية الفلاحة، أو على الأقل بداية اهتمام الإنسان بالطبيعة، كما يرى في المناجل التي اكتشفت في مناطق متفرقة من الجزائر الحالية الدليل على أن الإنسان القفصي قد مارس عملية جني الثمار،غير أن تنظيم الزراعة بدأ في أوائل التاريخ [١١].

ويرى بعض الباحثين في آثار(تازبنت) الدليل على التنظيم الزراعي في المنطقة، إذ لاحظ دى روش(De Roch) [١٢]، أن تقسيمات الأرض تلك، تم تهيئتها من طرف الإنسان بهدف تحسين ظروف الزراعة : فهي منشآت مائية بدائية، بهدف حفظ المياه و الحد من سرعتها، و تضمن تلك الأسوار (المدرجات) أيضا حماية الأرض الزراعية من الانجراف، كما لاحظ أيضا بالوت (L. Ballout) أن المنحدرات الخفيفة التي تحد التقسيمات، تحفظ الثلوج التي تسقط في فصل الشتاء، و تتجمع لتذوب ببطء [١٣]. وقد تساءل كومس بعد التأكد من كون هذه المنشآت الزراعية و المائية سابقة للرومان، إن لم تكن من عمل النوميديين و نتيجة ملموسة للسياسة الزراعية للملك مسينيسا ؟ قبل أن يجيب عن ذلك بالسلب، إذ تفترض تلك الأعمال حسبه بسبب سعتها إقامة طويلة، وبالتالي وجود سكان مستقرين، فإرادة شخص واحد في رأيه لا يمكن أن تكون مصدر مثل ذلك التنظيم الذي لا يفسر إلا في إطار اجتماعي و اقتصادي خاص [14].

---

[9] J. Desanges. «Rome et la conquête du monde méditerranéen », dans Nicolet (9 (Claude), Rome et la conquête du monde méditerranéen 264- 27 AV J . C, (2VOLS) éd .p .u. F. collection nouvelle Clio, (Paris 1977- 1978) , T . 1, p . 651

[10] H. Basset, «Les Influences punique chez les berbères »Rev. Africaines , T.62 (1921), p. 345, CF. aussi E. Laoust, Mots et Choses berbères, p. 300

[11] G. Camps , OP.Cit , pp. 69-91

[12]E. Seree de Roch «Note sur les vestiges d'habitat au tazbent, commune mixte de Tébessa » B.A.C. (1946) , pp . 143-196.

[13] L. Ballout, Préhistoire de l'Afrique du nord, éd . Arts et métiers graphiques Paris(1955), p . 427 n°7.

[14] G. Camps , OP. Cit . p. 74

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إذا كان الطابع الزراعي لهذه المنشآت، مؤكد، فلا يمكن تأريخها بطريقة مطلقة، و المؤكد أيضا أن استرباعات ♦(quadrillage) تازبنت هذه ليست فريدة، إذ أشار بالوت[١٥] إلى استرباعات مماثلة في مصب وادي فوريس إلى الجنوب من جبل العنق و دي روش(De roche) إلى أخريات إلى الجنوب من بئر العاتر وهي سابقة للفترة الرومانية [١٦]، وكذا في مناطق أخرى من الجزائر[١٧]، هذه الأعمال كلها، تبين أن روما وجدت في شمال إفريقيا نظاما زراعيا و مائيا متكاملا ، فلم ينتظر المغاربة وفق تعبير شوفالي قدوم الرومان للتفكير في إقامة مثل تلك الأعمال [١٨]، فلم يقم الرومان بأكثر من استغلال ذلك النظام، بتوسيعه و تنظيمه، وهو ما يفسر أن نجاح روما في تحقيق ذلك التوسع في الخريطة الزراعية، إنما تم بفضل استفادتها من تطبيقات زراعية سابقة .

وقد أشار ديودور الصقلي بدوره إلى بساتين مقارة (Magara)، التي كانت تسقى بواسطة قناوات، و تحدد بواسطة أسوار من الحجارة [١٩]، وبعد أن نفي شوفالي انتماء هذه المنشآت إلى الرومان، رفض أيضا فكرة انتماءها إلى القرطاجيين اعتمادا على وجود هذه المنشآت خارج الأراضي القرطاجية، و يخلص إلى القول أن كل هذه المنشآت التي أقامها الرومان فيما بعد في إفريقيا ، كان انطلاقا من تقنيات محلية، فقد استطاعت روما أن تنجز أعمال الكنترة (Centuriation) الكبرى و في ظروف مناخية جديدة، بفضل منشآت زراعية و مائية (قناوات و أسوار) معروفة سابقا في المنطقة، فقد أخذت روما بعين الاعتبار العادات المحلية في الإسترباعات، و تمكنت بذلك من الاستفادة من تطبيقات زراعية سابقة[٢٠]

إذا كان من المؤكد أن تلك المنشآت سابقة لروما ولا يد فيها للفنيقيين، فان اللقي و البقايا الأثرية التي عثر عليها في المنطقة، تعود بها إلى العصر الحجري الحديث، و إن كان كومس يميل إلى فجر التاريخ، كما تدل هذه الأعمال المعتبرة أيضا على طول مدة الاستقرار به[٢١].

♦ استربا عات أو ترتبيعات (Quadrillage) تقسيم الأرض إلى مربعات

[15] L. Ballout , OP. Cit, p. 452 n°7

[16] E.Seree De Roch, OP. Cit , p. 196 CF. General Hurault, «Note sur les quadrillages préhistorique

[17] Algérien» B.A.C.T.H. (1946-1949), p. 90 et suite

R. Chevalier, «La Centuriation romaine et la mise en valeur des sols dans

[18] l'Afrique du nord» l'information géographique , (1958), p. 150.

[19] Diodore de Secile, xx ,8,3-4

[20] R. Chevalier , OP. Cit . , p. 152

[21] G. Camps , Massinissa , p . 74

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و هكذا نلاحظ أن تنظيم الفلاحة و تهيئة الأرض بإقامة المدرجات و المنشآت المائية بهدف الاستغلال قد بدأ في فترة مبكرة، و لا يرى كومس أي اختلاف في نمط الحياة عند المزارعين في تازبنت أو ضواحي جبل مستيري♦، و بقية المغاربة القدامى، وإن كل هؤلاء السكان المزارعين سابقين لعهد مسينيسا، وقد جمعوا بين زراعة المدرجات و تربية المواشي منها الأبقار و الأغنام، كما كانت زراعتهم متنوعة منها القمح و الشعير و الذرة والخضر بالإضافة إلى التشجير[٢٢]، و بالتالي إذا كانت النصوص القديمة تؤكد على دور مسينيسا في المجال الزراعي، فان الآثار تدل على أن الزراعة سابقة لهذا الإقليد، وقد تؤكد الدراسة الإيتمولوجية و المعطيات اللغوية ذلك:

أولا ــ الحبوب:

١)القمح : اذا كانت وفرة إنتاج القمح معروفة عند كل المؤرخين القدامى منهم والمحدثين، و إذا كان البعض الآخر قد أشاد بجودة الإنتاج[٢٣]، فان الخلاف لم يحسم في أصل هذه الغلة الغذائية الأساسية ، التي يرى دي كاندول أصولها المغربية ــ الإسبانية اعتمادا على تناسبها و مناخ البحر الأبيض المتوسط الغربي[٢٤]، و نجد ما يدعم هذا الرأي في فقه اللغة، إذ يطلق الليبيون على هذه الغلة اسم إيرذن(IRDEN) في الجمع إرذ (IRED) في المفرد، و هي تسمية مستخدمة عند كل الليبيين من واحة سيوة شرقا إلى جزر الكناري غربا و الهوقار و التاسيلي جنوبا[٢٥]، فالإنتشار الواسع لهذه التسمية لا يسمح فقط بإثبات قدم زراعة القمح عند الليبيين ، وإنما ارتباط هذه و الزراعة بالمجتمع الريفي الليبي، قد ذهب توتان إلى أن القمح و الشعير الزراعة الأكثر انتشارا في بلاد المغرب منذ عصور ما قبل التاريخ[٢٦].

2) الشعير: يعرف الشعير في اللغة الليبية ب تمزين (TIMZIN)، انتشار هذه التسمية و ذيوعها عند كل المغاربة، مع وحدة معناها جعل لاوست يفكر في أصولها المحلية، وبالتالي قدم زراعة هذه الغلة في بلاد المغرب[٢٧]، و هو رأي كومس(G. CAMPS) الذي يرى في وحدة التسمية التي لا صلة لها بأية كلمة أجنبية، و وحدة

♦جبل مستيري : منطقة جبلية في ضواحي تبسة ، عثر فيها على قبور ميقاليتيكية ، تدل على مدة الاستقرار بها

[٢٢] نفسه ، ص ٧٧ .

[23] Pline H.N. , XVIII, 89.

[24] A. De Candolle , Origine des plantes cultivées (Paris 1883), P. 289.

[25] CF F. Laoust, Mots et choses berbère , éd ; challamel (paris 1920), p. 256.

[26] J. Toutain, L'économie antique , éd . La renaissance du livre , paris 1927, p. 244

[27] E. Laoust , OP. Cit. , p. 264.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

معناها ما يكفي للتدليل على انتماء زراعتها إلى اقتصاد الشمال الإفريقي منذ بداية الزراعة[٢٨] .

3) الفول : لا يستبعد لاوست قدم زراعته في بلاد المغرب، و قد تحدث الكثير من علماء النبات عن وجوده في شكله البري[٢٩]، فضلا عن أصول التسمية إفاون، إبارون (IBAUEN , IVAWEN) المنتشرة من واحة سيوة حتى المحيط بنفس المعنى، مما يجعلنا لا نستبعد أن يكون إنتاجا محليا و أصيلا في المنطقة.

أما العدس و الحمص، فلا يستبعد كومس أن تكون من أصول شرقية، فإذا كانت لفظة " لحمز" التي تطلق على" الحمص" عند البعض هي تحريف الكلمة العربية، فإن لفظة ايكيكر(IKIKER) التي تطلق على نفس الغلة في مناطق أخرى مشتقة من التسمية اللاتينية كيكر (CICER) على رأي البعض[٣٠]، خلافا لغلة العدس التي تعرف عند البعض تنيلتيت "TINILTIT"، التي يرى لاوست أنها تحريف للتسمية اللاتينية (LENTIS)، خلافا ل-موفر (MOVERS)[٣١]الذي يرى أن التسمية اللاتينية، هي المشتقة من الليبية، ورغم معارضة قزال للفكرة [٣٢] إلا أننا ندعم رأي موفر نظرا لتشكل التسمية الليبية من مقطعين، المقطع الثاني يحمل معنى العين تيت= تيط أي العين، وارتباط التسمية حديثا بالرؤية والعين " العدسات" .

التشجير: من بين الأشجار التي عرفها الليبيون القدامى، نجد أشجار الزيتون، التين، الكروم، النخيل، اللوز، فضلا عن التفاح، والرمان .

نحاول التعرض لأصل كل نوع بشيء من الاختصار يفرضه هذا العرض.

١) الزيتون : أصول زراعة الزيتون، تطرح عدة مشاكل، نظرا لتضارب أراء المؤرخين في الموضوع، ففي الوقت الذي يرى فيه دى كاندول الوطن الأصلي لشجرة الزيتون هو آسيا الصغرى من حيث انتقلت إلى مصر ثم بلاد الإغريق و ايطاليا [٣٣]، رأى جماعة من علماء النبات الذين حاولوا التوفيق بين الدراسات العلمية و المعطيات التاريخية، أن الوطن الأصلي لشجرة الزيتون هو كريت و جزر بحر إيجة، من حيث انتقلت إلى سوريا و فلسطين في القرن الخامس عشر (١٥) ق م، ثم إلى مصر في القرن الثالث عشر (١٣) ق م في عهد رمسيس الثاني[٣٤] والإغريق الذين نقلوها إلى

---

[28] G. Camps, Massinissa, p. 79 .

[29] L. Trabut ,« L'indigenat de la féve en Algérie », B. S.H.N.A., T.2 (1911); pp.116-122.
A. DE bruge«Compte rendu des fouille faites a Bougie»R.A.SC ,T. 33 ,(1905),p.67-123,p. 119.

[30] G. Camps, Massinissa, p.80

[31] F.c. Movers, Die phonizier, d'après, E. Laoust, Mots et choses berbères, p.

[32] S. Gsell, H.A.A.N, T. 1, p. 236 n°1

[33] De Candolle, L'origine des plantes cultivée

[34] CF. H. Camps-Fabrer,L'olivier et l'huile d'olive dans l'Afrique romaine, (Alger1953),p.11

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ايطاليا عرفوها عن الكريتيين[٣٥]، لكن كلا الرأيين، لا يسلم من النقائص، أما فيما يخص الرأي الأول، فنجد ما يبث الشك فيه فيما ذكره هيرودوت من أن الأشوريين لا يعرفون زيت الزيتون و لا توجد عندهم تسمية له[٣٦] ، فلا يعقل أن يكون الموطن الأصلي له هو آسيا الصغرى، و ينتقل منها إلى سوريا و فلسطين و مصر من غير أن يعرفه الأشوريون، أما فيما يخص الرأي الثاني الذي يرى أن المصريين، عرفوا الزيت في القرن الثالث عشر ق.م عن طريق كريت و جزر بحر ايجة في القرن الخامس عشر ق.م أو عن طريق الشام التي وصلها في القرن الخامس عشر ق.م، فنجد في الآثار المصرية ما يفند ذلك، إذ تبين تلك الآثار، أن المصريين عرفوا شجر الزيتون و زيت الزيتون عن طريق الليبيين، منذ عصر ما قبل الأسرات أي منذ أواخر الألف الرابعة ق.م[٣٧]، إذ تشير لوحة "التحينو" التي عثر عليها في أبيدوس إلى شجيرات الزيتون ضمن الغنائم التي جلبها أحد ملوك هيراكليوبوليس ــ ربما ــ الملك العقرب أو نارمر، فإلى جانب الثيران، الحمير و الأغنام، نجد أسفل اللوحة شجيرات الزيتون بالقرب منها العلامة التي تدل على "التحينو" [٣٨] .

أقدم الإشارات التاريخية إلى الزيتون و زيت الزيتون جاءتنا من منطقة مراقية مرما ريداى، "حاتي" الذي استخدم لدهن جباه الآلهة و الملوك[٣٩]، و قد نعت في نصوص الأهرام ب " تحنت" أي الليبية [٤٠]، و قد تمت الإشارة إلى أهمية هذه الزيت بالنسبة للفراعنة على عدة صلايات ملكية، تعود إلى العهد الثيني [٤١]، و قد عرفت هذه الزيت ب حاتت من التسمية الليبية " أحاتيم ".

هكذا نلاحظ قدم استخدام الزيت عند الليبيين رغم رأي هنرى باسي المخالف ، إذ يرى في وجود تسميتين حاليا للدلالة على شجرة الزيتون ما يدعم رأيه القائل بتعليم الفينيقيين الأهالي زراعة الزيتون، إذ يرى أن كلمة " أزمور" الليبية ، تطلق على شجرة الزيتون البرية، بينما تسمية " الزيتون " السامية، تطلق على شجرة الزيتون "

---

[35] CH. Parin, «L'origine des plantes cultivées », A.H.ES, (1935), pp. 628.

[36] Herodote, I, 193

[37] L. Joleaud ,«L'ancienneté de la fabrication de l'huile d'olive dans l'Afrique du(37 nord», Revue Africaine T .70 (1929), pp. 19-39

[38] A. Moret, Le Nil et la civilisation Egyptienne, (l'évolution de l'humanité), éd (38 Albert Michel (Paris 1957), p. 36.

[٣٩] نلاحظ استمرار عادة دهن جباه الأطفال بالزيت عند الليبيين (المغاربة) حتى الآن ، خاصة في المناطق الجبلية مما يدل على عمقها في الذاكرة الشعبية.

[٤٠] نص ١٥٠، ٤٥٥ حول هذا الموضوع انظر مورى ، المرجع السابق ، ص ٨٨ رقم ٠٦ و ص ٨٩ رقم ٠١.

[٤١] نفسه ن ص ٨٨ هامش ، ٥- ٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المغروسة "، و بالتالي يكون الفينيقيون في رأيه هم من أدخل زراعتها، كما علموا الليبيين فن استخراج الزيت من الزيتون[٤٢]، و كذا عدم وجود تسمية للزيت في اللغة الليبية، ما عدا كلمة " أوذى " التي تعني المادة الدسمة عموما[٤٣].

طبعا لا نحتاج إلى فطنة وذكاء حاد لتفنيد هذا الإدعاء، فكلمة "أوذى "، لا تعني المادة الدسمة بل تطلق على "الزبدة "، وهذا في كل لهجات اللغة الليبية من واحة سيوة بمصر حاليا إلى السوس بالمغرب الأقصى، أما عن الزيت ، فقد أشرنا سابقا إلى معرفة المصريين لها عن طريق الليبيين منذ العصر الثيني، أما عملية الغرس، فقد عرفها المصريون من منطقة مراقية بليبيا، منذ عصر ما قبل الأسرات، بنقل شجيرات الزيتون، و حتى التسمية التي يكون المصريون، قد أطلقوها عن هذه المادة " حاتيت"، تكون مشتقة من التسمية الليبية "أحاتيم "، مما يعني أن الليبيين غير مدنيين للفينيقيين في هذا المجال.

أما تسمية " أزمور" التي يرى باسى أنها تطلق على الزيتون البري [٤٤]، فهو خطأ آخر يعود لجهله باللغة الليبية، لأن الزيتون البرى، يعرف ب " أزبوج "، و نجد في سعة انتشار هذه التسمية في العالم الليبي من سيوة، وغدامس والأوراس وحتى جرجرة والريف والسوس، ما يدل أيضا على جذورها المحلية [٤٥]، بينما تسمية " أزمور"، تطلق على الزيتون المغروس و المطعم في آن واحد ، و قد عرف المغاربة القدامى التطعيم قبل قدوم الفينيقيين ، و عرفوا استخراج الزيت من الزيتون (العصر) منذ عصور قديمة ، ما دامت النصوص المصرية ، التي تعود إلى أواخر الألف الرابعة و أوائل الألف الثالثة، تتحدث عن الزيت الليبية ، التي تستخدم في دهن جباه الملوك[٤٦].

٢) شجرة التين : أقر قزال[٤٧] في الجزء الأول من عمله الموسوعي " تاريخ" إفريقيا الشمالية القديم بالأصول الليبية لهذه الشجرة ، قبل أ ن يعود في الجزء الرابع ، و يقول أن الفينيقيين علموا الأهالي زرعها و تأبيرها[٤٨] ، لكن المعطيات اللغوية ، تدل على غير ذلك ، فالليبيون القدامى المعروفون بالاستهلاك الواسع لهذه الغلة ، يمتلكون

[42] H. Basset, «Les influences puniques chez les berbères», Revue Africaine,T.62(1921), p.348.

[٤٣] نفسه .

[44] H. Basset,«Les influences punique chez les berbères»,Revue Africaine,T.62(1921), p348

[45] G. Camps , Massinissa , p. 89

[46] Maspero, «La table d'offrantde», R.H.R. , T 35 (1897), p.22

[47] S. Gsell , H.A.A.N. ,T.1p. 168

[48] ID. T. 4,P.31, T.5, P. 199

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قاموسا ثريا في هذا الموضوع ، سواء فيما يخص الشجرة أوالثمرة في مختلف مراحل التفتح و النضج ، مما يجعلنا نتساءل عن دواعي التي جعلت قزال يقول بتعليم الفينيقيين للأهالي زرع التين ، رغم أنه شجر بري و تعليمهم التأبير ، و كأنه لا يتم بطريقة تلقائية[٤٩]، و بالتالي حاجة المغاربة إلى تعلمها من طرف آخر، و هو ما يدفعنا إلى التفكير في أن ابسط التقنيات الزراعية، تكون غريبة عن الأهالي، و أن هذه الأمة التي عرفت الزراعة منذ العصر الحجري الحديث، كانت محرومة من كل مبادرة محلية [٥٠].

٣) الكروم: تم العثور على آثار الكروم في الجزائر تعود إلى الحقب الرابع[٥١]، وهي في نظر سانتا(Santa)، تعاصر فترة تجلد الريس (Riss)، ويحتمل أنها من أواخر هذا العصر الجليدي[٥٢]، و لكن هذا لن يمنع بعض المؤرخين المهتمين بتاريخ المغرب القديم، من القول بأن دخولها إلى المغرب و زراعتها تعود إلى الفينيقيين، وهو ما ذهب إليه بيكار[٥٣]و كاركوبينو[٥٤]والمؤكد أن الكروم وجدت في بلاد المغرب في شكلها البري، ويذكر بلاديوس[٥٥] وماكروبيوس[٥٦] أن الكروم أول الأشجار التي استفادت من التطعيم.

وقد تحدث المؤرخون القدامى على هذه الكروم في بلاد المغرب القديم، فهذا بوزانياس[٥٧]يتحدث عن سكان الأطلس الذين يتغدون بعنب كروم برية ،كما تحدث بلينوس[٥٨]عن إنتاج كروم برية يستخدم في أغراض علاجية، أما هيرودوت فقد تحدث هو الآخر عن جزيرة في السواحل الشرقية لتونس مغطاة بالزيتون و الكروم[٥٩].

إلى جانب تلك الأشجار المحلية، عرف الليبيون أشجارا أخرى بعضها محلي مثل اللوز الذي وجد بكثرة في حالته البرية، و هي الشجرة التي تمثل كل خصائص الشجرة

---

[49] G. Camps, Massinissa , p.90

[٥٠] نفسه

[51] Battandier et Trabut, I'Algerie, (Paris 1892), p. 20

[52] S. Santa,«Essai de reconstitution de paysage quaternaire d'Afrique du nord», Libyca (Antiquité préhistorique et ethnographique),T.6- 7(1958 – 59), p.41.

[53]G.Ch.Picard,La vie quotidienne à Carthage au temps d'Hannibal , éd.Hachette (Paris,1958),p.89

[54] J. Carcopino, le Maroc antique , éd .Gallimard , (paris 1943), p. 27.

[55] Palladius, L'économie rurale , XIV

[56] Macrobius, Saturnale I, 7, 25

[57] Pausanins , Description de la Grèce I , 33, 5

[58] Pline , Histoire naturelle XII , 133 et XXIII, 9.

[59] Herodote, IV, 165

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المحلية حسب كومس [٦٠]، وكذا النخيل الذي يشهد قاموس اللغة الليبية بثرائه بأسماء الشجرة و الثمرة، مما يدل على أصالة و قدم هذه الشجرة في المنطقة.

أما أشجار الرمان والتفاح، فالغالب أنها وصلت شمال إفريقيا مع الفينيقيين، وعرفت توسعا في زرعها في العهد البونيقي، وقد أطلق الرومان على الرمان تسمية "التفاح البونيقي"(Mallum punicum) مما يدل على أن الرومان عرفوا أيضا هذه الشجرة عن البونيقيين.

حاولنا فيما سبق تتبع أصول الزراعة في بلاد المغرب، ورغم تأكيد النصوص على أن مسينيسا هو مدخل الزراعة الى نوميديا التي لم تكن تعرف الفلاحة من قبل [٦١]، فان المعطيات الأثرية و اللغوية، تبين غير ذلك، فهذه آلات الحرث و الحصاد التي وجدت هنا و هناك في القطر الجزائري ،بالإضافة إلى المطاحن التي تعود هي الأخرى إلى عصور ما قبل التاريخ [٦٢]وبالتحديد إلى العصر الحجري الحديث، وهي المطاحن التي استخدمت في كل أنحاء البلاد المغاربية مما يدل على قدم استغلال منتجات الأرض منذ ذاك، وهو ما يمكننا الحكم بقدم الزراعة في نوميديا و بلاد المغرب ، و أنها تعود إلى ما قبل مسينيسا بكثير، و أن انتظامها و تطورها، بدأ تدريجيا منذ أواخر العصر الحجري الحديث، ولا يد فيها لا للفينيقيين ولا لقرطاجة فيما بعد، لكن هذا لا ينفي مساهمة قرطاجة في تطوير و تنمية الفلاحة في بلاد المغرب، لكن في نفس الوقت ليس ضروريا أن نستنجد دائما بالتأثيرات الخارجية كلما دعت الضرورة لدراسة تقنيات محلية، كما أننا لا نلغي دور مسينيسا في مجال تطوير الفلاحة إذا قلنا أن الفلاحة تعود لعهود سابقة له، فشهادات المؤرخين أعلاه لأكبر دليل على الدور العظيم الذي لعبه في تنمية الفلاحة، و دفع الرحل للاستقرار، وما يترتب عن ذلك من بث روح الطاعة و النظام .

[60] G. Camps , Massinissa , p. 91
[61] Strabon , XVII, 3, 15, Appien, VIII, XV , 106.
[62] CF. S. Gsell, H. A.A.N., T.6p.6, Laoust, Mots et choses berbéres , pp. 41- 50.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com